على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون
برشيد مرشد او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم
القيامة الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم
فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة
الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود اي بئس المورد الذي
وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والاية
كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن في امره
رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون مامون العاقبة حميدها واتبعوا
في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اي يلعنون في الدنيا والاخرة بئس الرفد
المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره
ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين
ذلك النبا من انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم
تلك القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود
والجملة مستانفة وقيل حال من الهاء وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم في نقصه صح
باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها للهلاك بارتكاب ما يوجبه فما اغنت
عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من
شيء لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك
او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل فيكون
محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى
على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه
اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا بظلمهم وانذار كل ظالم نفسه
او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص منه
وهو مبالغة في التهديد والتحذير ان في ذلك اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما
قصه الله من قصصهم لاية لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة يعتبر به عظمه
لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الاخرة او ينزجر به عن موجباته
لعلمه بانه من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الاخرة واحال
فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية
اتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيامة
وعذاب الاخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس والتغيير للدلالة

بيان

ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ
من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة
وذلك يوم مشهود اي مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء
الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير
شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم و
تمييزه فان سائر الايام كذلك وما نؤخره اي اليوم الا لاجل معدود الا
لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التاجيل
كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود يوم ياتي اي الجزاء او اليوم كقوله ان
تاتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان
ياتيهم الله ونحوه وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة بحذف الياء اجتزاء عنها
بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو الناصب
للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الا باذنه اي الا
باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف اخر والماذون فيه هي الجوابات الحقة
والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى
الوعيد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم
نفس او للناس فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج
النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق واخره والمراد بهما الدلالة
على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر
فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين
فيها ما دامت السموات والارض ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما
فان النصوص دالة على تابيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التابيد
والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط
لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما
الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم
لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الاخرة وارضها ويدل عليه قوله
تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الاخرة لا بد لهم
من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه
ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له

وسعيد وجبت له الجنة بمقتضى الوعد

ج

ط

مه